

الملاحظات

إن هطول فيض وحي حضرة بهاء الله الذي لم يسبق له مثل والذي جرى عقب افتتاح ميرزا يحيى وسقوطه مباشرة، بلغ ذروته بنزول "سورة الملوك". ففي هذه السورة، وهي أكثر كتابات حضرته جسامة وأهمية، يخاطب بصورة رئيسة ملوك العالم مجتمعين. أنزلت باللغة العربية، حيث تعلن عبارات لا غموض فيها عن ما يدعو إليه صاحبها وعن مقامه بلغة القوة والافتقار.⁽¹⁾ لأي ملاحظ أمين محايد، فإن الفقرة الافتتاحية وحدها لتفصح عن سلطان وجلال من يعلن عن كونه مطلع ولاية الله في الأرض ويدعو ملوك العالم وحكامه لينبذوا ما عندهم من متاع ويقبلوا إلى أمره:

"أن يا ملوك الأرض اسمعوا نداء الله من هذه الشجرة المثمرة المرفوعة التي نبتت على أرض كثيب الحمراء بريّة القدس وتغنّ بأنه لا إله إلاّ هو العزيز المقتر الحكيمة... اتقوا الله يا معشر الملوك ولا تحرموا أنفسكم عن هذا الفضل الأكبر فألقوا ما في أيديكم فتمسّكوا بعروة الله العلي العظيم وتوجّهوا بقلوبكم إلى وجهه الله ثم اتركوا ما أمركم به هواكم ولا تكوننّ من الخاسرين."

(1) ترجم حضرة شوقي أفندي أجزاء من هذا اللوح إلى الإنكليزية. نشرت بصفة رئيسة في "منتخبات من آثار حضرة بهاء الله" بالأرقام 65، 66، 113، 114، 116، 118، وكذلك في "The Promised Day Is Come" الصفحتين 20-21.

كشف حضرة بهاءالله عن مقامه تدريجاً وعلى مراحل. فتمّ إعلانه في حديقة الرضوان سنة 1863م.⁽²⁾ وفي تلك المناسبة التاريخية، التي يمكن اعتبارها المرحلة الأولية في إعلانه ظهور يوم الله، كشف عن جلال مقامه ورفعته إلى نفر قليل من أصحابه. فلم يعلم كثير من البابيين الذين تجمّعوا في تلك الحديقة للإعراب عن إجلالهم وولائهم في يوم رحيله إلى الآستانة، عن ذلك الإعلان، ولم يسمعوا عنه إلاّ بعد بضعة أشهر. يذكر ميرزا أسد الله الكاشاني هذه الحقيقة في روايته الشفوية. تجدر الإشارة إلى أنه كان قد عيّن نفسه حارساً خاصاً لحضرة بهاءالله في بغداد، وكان من خدامه المخلصين ويحمل، خلافاً لنصح حضرته ورغم كونه قصيراً جداً، خنجراً مستوراً تحت عباءته كلما مشى خلف حضرته في المدينة. فيما يلي وصفه لمغادرة حضرة بهاءالله حديقة الرضوان وحالة المؤمنين الذين تركهم في بغداد:

رغم أن حضرة بهاءالله كان قد أمر الأبناء ألاّ يتبعوهم (حضرته ومرافقيه)، فلم أحتمل رؤيته وهو يغيب عن أنظاري فأخذت أجري خلفه لمدة ثلاث ساعات.

(2) انظر المجلد الأول، الفصل 16.

رآني حضرته ونزل عن جواده، منتظراً وصولي ثم تفضل بذاك الصوت المليح
الممتلي محبةً وحناناً بأن أرجع إلى بغداد، وبتعاوني مع الأبناء، نمضي قدماً
بعملنا بهمة ونشاط دون تقاعس أو خمول:

'لا تدع الحزن يستولي عليك. إني تارك ورائي ببغداد أحبباء أعزاء عليّ. بكل
تأكيد سوف أرسل لهم بشارات أحوالنا الطيبة. كن ثابتاً في خدمة الله الذي يفعل ما
يشاء. لتحيا في السلام المقدر لك.'⁽³⁾

بقلوب كسيرة يعتصرها الحزن بقينا نراقبهم وهم يختفون في ظلمة الأفق. فإن
أعداءهم قساة أقوياء! ولم نكن لندري إلى أين سيقودونهم إلى وجهة مجهولة!

استدرنا ونحن نجهش بالبكاء المرير، شطر بغداد مصممين على أن نحيا وفق
أمره.

لم نكن بعد، في ذلك الحين، قد أخبرنا بالنبأ العظيم للإعلان، بأن محبوبنا
المبجل حضرة بهاء الله كان هو الموعود -"من يظهره الله"- لكن رغم ذلك سرعان

(³) هذه ليست كلمات حضرة بهاء الله نصّاً ولكنها تعيد بمضمون ما تفضل به من بيانات. (أ. ط.)

ما غمرنا ذاك الإحساس بالسرور الذي يصعب وصفه، والذي ينبعث من أعماقنا، وحلّ محلّ الحزن مفيضاً علينا بنورانية خفية عجيبة.

بعد ذلك يصف ميرزا أسد الله كيف أتى أحد المؤمنين بعد مدة، بلوح من أدرنة تمكّن أجباء الله بالعراق من خلاله من الاطمئنان على أحوال حضرة بهاء الله، وعلموا بإعلانه في حديقة الرضوان ثم إعلانه العمومي في أدرنة.

تمثّلت المرحلة الثانية في الكشف عن مقام حضرة بهاء الله باعلانه بصفة رئيسة إلى أفراد الجامعة البابية، وذلك عن طريق إنزال ألواح لا حصر لها من أدرنة بالإضافة إلى الإقدمات التبليغية لبعض تلاميذه البارزين.

أمّا المرحلة النهائية فكانت إعلانه المهيب المجيد للعالم أجمع متمثلاً بملوكة ورؤسائه، الذين كانوا يتمتعون بسلطة زمنية عظيمة وبسطوا نفوذهم، بالاشتراك مع السلطة الدينية، على عقول رعاياهم.

قبل ذلك بعدة قرون، كان الرسول محمد (ص) قد بعث برسول إلى حكام بعض البلاد المجاورة معلناً رسالته وداعياً إياهم للإيمان بها. أمّا الذين سجل مؤرخو

الإسلام، أنهم دُعوا من قبل حضرته فكانوا: ملك الفرس ونجاشي الحبشة وإمبراطور بيزنطية ووالي مصر وحاكم دمشق وإمام اليمامة.⁽⁴⁾

كما بعث حضرة الباب لوحين إلى ملكين فقط في وقته هما محمد شاه، ملك الفرس والسلطان عبد المجيد، سلطان تركيا. إلا أنه كان قد خاطب سابقاً "معشر الملوك وأبناء الملوك" في "قيوم الأسماء" ودعاهم لإبلاغ رسالته إلى أهل العالم.

أمّا حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، الذي جاءت مهمته لتوحيد الجنس البشري تحت راية دين عالمي واحد، فقد أرسل دعوته المدوية لملوك العالم أجمع، معلناً رسالته، داعياً إياهم للإقبال إلى أمره، وحثاً إياهم للعمل بنصحه وبنفس الوقت منذراً إياهم بأخطر العواقب إذا ما اختاروا الإعراض عن نصائحه.

إن دراسة "سورة الملوك" وألواحها التالية إلى أفراد ملوك العالم، تلقي ضوءاً على ملامح رائعة تلفت الانتباه لروح حضرة بهاءالله التي لا تقهر، وشجاعته وموقفه الذي لا يعرف المساومة في كشف الحقائق التي ينطوي عليها ظهوره. أي رجل، قبل أزيد من قرن، خاطب ملوك وسلاطين العالم، لا سيما أمثال الطغاة ناصر الدين شاه، ملك الفرس، وعبد العزيز، سلطان تركيا، كان عليه أن يتقن فن الدبلوماسية ويصوغ كلماته

(4) أسماؤهم على التوالي هي: خسرو برويز (كسرى الثاني)، أجامي أبجور، هرقل، المقوقس، الحارث ابن أبي شمر وحوضه ابن علي.

بعبارات لا تخطئ في تمثيله وتقديمه كعبد لدى عبتاتهم. إن أبهة وفخامة الملوك كانت تبعث الرهبة بحيث في معظم الحالات تجعل المرء قوي القلب يشعر بالتردد في الاقتراب منهم أو الإعراب عن آرائه إذا كانت لا تتفق وتلك الآراء التي يؤيدها أولئك الملوك. ما من رجل سوي العقل كان ليجرؤ على أن يحاول، قبل قرن، مخاطبة الملوك بلهجة آمرة متسلطة خصوصاً إذا كان أسيراً سجيناً في قبضة حاكم طاغية.

من غير مظهر الله في أرضه كان بوسعه مخاطبة الملوك بقوة وسلطنة على غرار ما فعل حضرة بهاء الله من عكاء وبأسلوب مثل ما جاء في "الكتاب الأقدس":

"يا معشر الملوك قد أتى المالك والملك لله المهيمن القيوم. ألا تعبدوا إلا الله وتوجهوا بقلوب نوراء إلى وجه ربكم مالك الأسماء هذا أمر لا يعادله ما عندكم لو أنتم تعرفون..."

يا معشر الملوك أنتم المماليك قد ظهر المالك بأحسن الطراز ويدعوكم إلى نفسه المهيمن القيوم. إياكم أن يمنعكم الغرور عن مشرق الظهور أو تحجبكم الدنيا عن فاطر السماء قوموا على خدمة المقصود الذي خلقكم بكلمة من عنده وجعلكم مظاهر القدرة لما كان وما يكون."

بعض المواضيع الهامة في "سورة الملوك"

مسؤولية الملوك

في "سورة الملوك" يعاتب حضرة بهاء الله الملوك لفشلهم وقصورهم عن الالتفات إلى رسالة حضرة الباب، ويخاطبهم بهذه الكلمات:

"أن يا عبد⁽⁵⁾ فاذا ذكر لهم نبأ عليّ إذ جائهم بالحق ومعه كتاب عز حكيم، وفي يديه حجة من الله وبرهانه ودلائل قدسٍ كريمٍ، وأنتم يا أيها الملوك ما تذكّرتُم بذكر الله في أيامه وما اهتديتم بأنوار التي ظهرت ولاحت عن أفق سماء منير، وما تحسّستم في أمره بعد الذي كان هذا خير لكم عمّا تطلع الشمس عليها إن أنتم من العالمين، وكنتم في غفلةٍ عن ذلك إلى أن أفتوا عليه علماء العجم وقتلوه بالظلم هؤلاء الظالمين، واسترقى روحه إلى الله وبكت من هذا الظلم عيون أهل الفردوس ثم ملائكة المقربين، إياكم أن لا تغفلوا من بعد كما غفلتم من قبل فارجعوا إلى الله بارئكم ولا تكوننّ من الغافلين..."

(5) حضرة بهاء الله.

تعطينا هذه الكلمات مفهوماً جديداً لحقيقة أن حضرة بهاءالله توقع أن يكون الملوك، وكثير منهم لم يكنوا مطلعين على رسالة حضرة الباب، قد تحروا ادعاءاته وتمسكوا بأمره. فحضرتة لا يسلم بفكرة أن معظمهم قد لا يكون مطلعاً بمجيئه أو يجهلون دعوته. بل على عكس ذلك فإنه يلومهم لجهلهم ذاك ويرسل إليهم الآيات دون اعتبار لحقيقة أن معظمهم لم يألف أو يطلع على مصطلحاته. ففيما وجه إليهم من خطابات للإقبال إلى أمره لم يبدل أسلوبه المعتاد وطريقة تعبيره لملاءمة فهم قرائه. هكذا كتب حضرتة: "أن يا عبد فاذا ذكر لهم نبأ علي إذ جاءهم بالحق..." مما يفترض أن الملوك لا بد وأنهم كانوا يعلمون من كان علياً. لأن واجب الإنسان الإقبال إلى كلمة الله، وفهمها وترقية مداركه من خلالها. وبما أن تلاميذ حضرة بهاءالله تمكنوا من بلوغ ذلك، فيتوقع أن يكون كل الناس، بغض النظر عن خلفياتهم ومعارفهم -الملوك لا يستثنون من ذلك- قادرين على فهم بيانات حضرة بهاءالله والتي تشكل في مجموعها كلمة الله لهذا العصر.

يويخ حضرة بهاءالله الملوك كذلك لعدم عرفانهم ظهوره هو. وينصحهم بالتوجه إليه بهذه الكلمات:

"وقد ظهر الوجه عن خلف الحجابات واستنار منه كل من في السموات والأرضين، وأنتم ما توجّهتم إليه بعد الذي خلقكم له يا معشر السلاطين، إذا أتبعوا قولي ثم اسمعوه بقلوبكم ولا تكوننّ من المعرضين..."

في فقرة أخرى، يذكر حضرة بهاء الله الملوك بفشلهم في منع أعدائه من اضطهاده هو وأتباعه، ويوبخهم بقوله:

"أن يا أيها الملوك قد قضت عشرين من السنين وكنا في كل يوم منها في بلاءٍ جديدٍ وورد علينا ما لا ورد على أحد قبلنا إن أنتم من السامعين بحيث قتلونا وسفكوا دماننا وأخذوا أموالنا وهتكوا حرمتنا وأنتم سمعتم أكثرها وما كنتم من المانعين. بعد الذي ينبغي لكم بأن تمنعوا الظالم عن ظلمه وتحكموا بين الناس بالعدل ليظهر عدالتكم بين الخلايق أجمعين.

إن الله قد أودع زمام الخلق بأيديكم لتحكموا بينهم بالحق وتأخذوا حق المظلوم عن هؤلاء الظالمين وإن لن تفعلوا بما أمرتم في كتاب الله لن يذكر أسمائكم عنده بالعدل وإن هذا لغبن عظيم. أتأخذون حكم أنفسكم وتدعون حكم الله العلي المتعالي القادر القدير. دعوا ما عندكم وخذوا ما أمركم الله به ثم ابتغوا الفضل من عنده وإن هذا لسبيل مستقيم."

وكذلك:

"وإن لن تمنعوا الظالم عن ظلمه ولن تأخذوا حق المظلوم فبأي شيء تفتخرون بين العباد وتكوننّ من المفتخرين أيكون افتخاركم بأن تأكلوا وتشربوا أو تجتمعوا الزخارف في خزائنكم أو التزيّن بأحجار الحمر والصفرة أو لؤلؤ بيضٍ ثمينٍ. ولو كان الافتخار بهذه الأشياء الفانية فينبغي للتراب بأن يفتخر عليكم لأنه يبذل وينفق عليكم كل ذلك من مقدّرٍ قديرٍ وقدّر الله كل ذلك في بطنه ويخرج لكم من فضله إذا فانظروا في شأنكم وما تفتخرون به إن أنتم من الناظرين.

لا فوالذي في قبضته جبروت الممكنات لم يكن الفخر لكم إلاّ بأن تتبعوا سنن الله في أنفسكم ولا تدعوا أحكام الله بينكم مهجوراً وتكوننّ من الراشدين."

نصائح عامة للملوك

تتمثل بعض الملامح البارزة من "سورة الملوك" في النصائح التي وجهها حضرة بهاء الله إلى الملوك. فيوجز لهم الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها كل رأس متوّج. فيما يلي بعض من نصائحه لهم:

"اتقوا الله يا أيها الملوك ولا تتجاوزوا عن حدود الله ثم اتبعوا بما أمرتم به في الكتاب ولا تكونن من المتجاوزين. إياكم أن لا تظلموا على أحد قدر خردل واسلكوا سبيل العدل وإنه لسبيل مستقيم.

ثم أصلحوا ذات بينكم وقللوا في العساكر ليقل مصارفكم وتكونن من المستريحين. وإن ترتفعوا الاختلاف بينكم لن تحتاجوا إلى كثرة الجيوش إلا على قدر الذي تحرسون بها بلدانكم وممالككم اتقوا الله ولا تسرفوا في شيء ولا تكونن من المسرفين.

وعلمنا بأنكم تزدادون مصارفكم في كل يوم وتحملونها على الرعية وهذا فوق طاقتهم وإن هذا لظلم عظيم. أعدلوا يا أيها الملوك بين الناس وكونوا مظاهر العدل في الأرض وهذا ينبغي لكم ويليق لشأنكم لو أنتم من المنصفين.

إياكم أن لا تظلموا على الذينهم هاجروا إليكم ودخلوا في ظلكم اتقوا الله وكونوا من المتقين. لا تطمئنوا بقدرتكم وعساكركم وخزائنكم فاطمئنوا بالله بارتئكم ثم استنصروا به في أموركم وما النصر إلا من عنده ينصر من يشاء بجنود السموات والأرضين.

ثم اعلّموا بأن الفقراء أمانات الله بينكم إياكم أن لا تخانوا في أماناته ولا تظلموهم ولا تكوننّ من الخائنين ستسئلون عن أمانته في يوم الذي تنصب فيه ميزان العدل ويعطى كل ذي حق حقه ويوزن فيه كل الأعمال من كل غني وفقير.

تبعات الإعراض

بعد توجيه النصيح لرؤساء العالم وحكامه، أصدر حضرة بهاء الله إنذاراً رهيباً:

"وإن لن تستنصحو بما أنصحناكم في هذا الكتاب بلسان بدع مبين يأخذكم العذاب من كل الجهات ويأتيكم الله بعدله إذا لا تقدرّون أن تقوموا معه وتكوننّ من العاجزين. فارحموا على أنفسكم وأنفس العباد."

لقد وقع نداء حضرة بهاء الله ودعوته إلى الملوك على آذان صمّاء. كان نتيجة ذلك أن وقعت الإنسانية ضحية ويلات حروب مدمرة بنحو متزايد وتقويض للنظام في كل مكان. فقد انزلت العالم في فوضى ونزاعات بحيث ليس هناك من بين رؤسائه، سواء من السياسيين أو الدينيين، ممن له القدرة على إنقاذه من مصيره المحتوم وسقوطه. إن المعاناة والمصائب التي حلّت بالإنسان، كما تنبأ حضرة بهاء الله، تتكاثر بازدياد يوماً بعد يوم، كما أن عملية تداعي النظم القديمة هي الأخرى في تسارع بمرور الزمن.

بقدر ما هي خطيرة محنة البشرية، فالذي هو أشد خطورة هو عجز عموم البشر ورؤسائه وعقلائه عن اكتشاف سبب محنتهم ومعاناتهم والسبب وراء مثل هذه المنازعات والفوضى في العالم. والذين اعترفوا بمقام حضرة بهاء الله وحدهم واعتنقوا دينه يعلمون بأن هذه الكوارث والبلايا هي التبعات المباشرة لإنكار دعوة حضرة بهاء الله من قبل الجنس البشري عامة وملوك ورؤساء العالم خاصة. فهم يؤمنون إيماناً راسخاً بأن ليس للإنسان اليوم ملجأ ولا مفر إلا بالورود في ظل أمر الله.

لم يقتصر تحذير حضرة بهاء الله للبشرية من مغبة الإعراض عن دعوته على "سورة الملوك" فقط، بل في العديد من ألواحه النازلة فيما بعد تنبأ منذراً بما ينتظر بشرية جاحدة من عذاب وابتلاء، بشرية أعرضت عن خالقها وأنكرت مظهره الأعظم. تُصوّر الفقرات التالية المقتبسة من آثار حضرة بهاء الله الحالة التي تنتظر عالماً غارقاً في الانحراف والغفلة:

"قد آن أوان فناء العالم وأهله" "سرعان ما يظهر الانقلاب الأكبر" "جاء اليوم الموعود، يوم تدمدم عليكم المحن والبلايا فوق رؤوسكم وتحت أقدامكم وهي تقول: 'ذوقوا ما قدّمت أيديكم!' " "عمّا قريب ينفخ فيكم صرصر الغضب الإلهي ويحيط بكم لهيب جهنم." "وإذا تم الميقات يظهر بغتة ما يرتعد به فرائص

العالم" "سوف تحترق المدن من ناره⁽⁶⁾ وينطق لسان العظمة الملك لله العزيز الحميد"

ولو أن يومنا الحاضر والمستقبل القريب، كما تنبأ حضرة بهاءالله محفوف بالبلايا وحالك الظلمة، إلا أن وعود حضرته تطمئننا بأن المستقبل البعيد ناصع مجيد بحيث ليس بمقدور أحد أن يتخيله الآن. يصرح حضرته متنبأ:

"عمّا قريب سوف تتغير كل حكومات الأرض ويعمّ الظلم العالم وبعد الشدة العامة تشرق شمس العدل من أفق ملكوت الغيب."

وفي موضع آخر:

"تُرى الأرض اليوم حاملة وعمّا قريب تشاهد أثمارها المنيعة وأشجارها الباسقة وأورادها المحبوبة ونعمها الجنية."

(6) أي نار التمدن.

ثم يخاطب لسانُ العظمة⁽⁷⁾ حضرةً بهاءالله بالكلمات التالية بعد أن تمَّ إطلاع الملوك على رسالته في "سورة الملوك" وأنذرهم بعواقب وخيمة تنتظرهم إن هم لم يستجيبوا لندائه:

"أن يا عبد ذكر العباد بما ألقيناك ولا تخف من أحدٍ ولا تكن من الممترين فسوف يرفع الله أمره ويعلو برهانه بين السموات والأرضين فتوكل في كل الأمور على ربك وتوجه إليه ثم أعرض عن المنكرين فاكف بالله ربك ناصرًا ومعينًا إنا كتبنا على نفسنا نصرك في الملك وارتفاع أمرنا ولو لن يتوجه إليك أحد من السلاطين."

خطابه للمسيحيين

فيما يلي نداؤه المتحدي الذي وجهه لملوك المسيحية في "سورة الملوك":

"أن يا ملوك المسيحية أما سمعتم ما نطق به الروح بأني ذاهبٌ وآتٍ فلما أتى في ظلل من الغمام كما صعد أول مرة لِمَ ما تقرّبتم به لتفوزوا بلقائه وتكونن من الفائزين. وفي مقام آخر يقول فإذا جاء روح الحق الآتي فهو يرشدكم وإذا جائكم

(7) صوت الله يكلم مظهر أمره، حضرة بهاءالله.

بالحق ما توجهتم إليه وكنتم بلعب أنفسكم لمن اللاعبين وما استقبلتم إليه وما حضرتهم بين يديه لتسمعوا آيات الله من لسانه وتطلعوا بحكمة الله العزيز الحكيم وبذلك منعت نسمات الله عن قلوبكم ونفحات الله عن فؤادكم وكنتم في وادي الشهوات لمن المحبرين فوالله أنتم وما عندكم ستفنى وترجعون إلى الله وتسلون عما اكتسبتم في أيامكم في مقر الذي تحشر فيه الخلائق أجمعين..."

خطابه لسلطان تركيا

إن الملك الوحيد المخاطب شخصياً في "سورة الملوك" هو السلطان عبد العزيز سلطان تركيا والذي بموجب فرمانات التي أصدرها تم إبعاد حضرة بهاءالله إلى أدرنة -التي دعاها حضرته "السجن البعيد"، ثم عكاه "السجن الأعظم"، فيما بعد. يدل مطلع الفقرة الافتتاحية على عظمة حضرة بهاءالله، إذ إن كلماته الناطقة بسلطان مهيمن، تصف الملك بأنه ليس إلا مملوكاً:

"أن يا أيها السلطان اسمع قول من ينطق بالحق ولا يريد منك جزاءً عما أعطاك الله وكان على قسطاسٍ حقٍ مستقيمٍ ويدعوك إلى الله ربك ويهديك سبل الرشده والفلاح لتكون من المفلحين."

يؤنّب حضرة بهاء الله الملك لأنه أودع مسؤولياته بأيدي وزراء غير أمناء لا يتقون الله. فقد كان من شأن الفساد الذي شمل بلاط السلطان، مقرونًا بحكم استبدادي، أن سبّب عذابًا لا يطاق لحضرة بهاء الله وأصحابه. أمّا قطبا الظلم والطغيان ومصدره في البلاد فكانا عالي باشا، رئيس الوزراء، وفؤاد باشا، وزير الخارجية، بمؤازرة زمرة رجال آخرين. فلا عجب أن يخصص حضرة بهاء الله، مظهر الله الحاكم والناصح للعالمين، جزءًا من خطابه للسلطان ناصحًا ومحذرًا بهذه الكلمات:

"إياك يا أيها الملك لا تجمع في حولك من هؤلاء الوكلاء الذين لا يتبعون إلا هواهم ونبذوا أماناتهم وراء ظهورهم وكانوا على خيانة مبین. فأحسن على العباد كما أحسن الله لك ولا تدع الناس وأمورهم بين يدي هؤلاء اتق الله وكن من المتقين. فاجتمع من الوكلاء الذين تجد منهم روائح الإيمان والعدل ثم شاورهم في الأمور وخذ أحسنها وكن من المحسنين..."

إياك أن لا تدع زمام الأمور عن كفك ولا تطمئنّ بهم ولا تكن من الغافلين. إن الذين تجد قلوبهم إلى غيرك فاحترز عنهم ولا تأمنهم على أمرك وأمور المسلمين ولا تجعل الذئب راعي أغنام الله ولا تدع محبّيه تحت أيدي المبغضين. إن الذين يخانون الله في أمره لن تطمع منهم الأمانة ولا الديانة وتجنّب عنهم وكن في

حفظٍ عظيمٍ لئلا يرد عليك مكرهم وضرهم فأعرض عنهم ثم أقبل إلى الله ربك
العزیز الکریم."

في سياق خطابه، يلفت حضرة بهاء الله نظر السلطان إلى أحد أكثر البيانات إثارة
للتأمل في تلك السورة حيث يؤكد:

"فاعلم وأيقن بأن الذي لن تجد عنده الديانة لن تكن عنده الأمانة والصدق وإن
هذا لحق يقين ومن خان الله يخان السلطان ولن يحترز عن شيء ولن يتق في أمور
الناس وما كان من المتقين."

لأجل تقدير هذا البيان علينا أن نتذكر بأن هناك كثيرين من الناس الملحدين
الذين قد يكونون أمناء صادقين في الأحوال الاعتيادية. لكن معيار الأمانة والصدق
الحقيقي لإنسان هو موقفه أمام المغريات. فعند حلول المحن والامتحان ليس ثمة ما
يبقى للإنسان صادقاً غير إيمانه بالله. وإن لم يكن مؤمناً بالله، فقد الهمة لمقاومة
المغريات.

ويستمر حضرة بهاء الله يفيض بالنصح والإرشاد على السلطان بلسان الرحمة والشفقة. في الفقرات التالية المختارة من بين نصائحه هذه برهان كاف على مدى عناية حضرة بهاء الله وسلطنته كذلك:

"وإنك لو تسمع قولي وتستنصح بنصحي يرفعك الله إلى مقام الذي ينقطع عنك أيدي كل من على الأرض أجمعين. أن يا ملك اتبع سنن الله في نفسك وبأركانك ولا تتبع سنن الظالمين..."

ولا تطمئن بخزائنك فاطمئن بفضل الله ربك ثم توكل عليه في أمورك وكن من المتوكلين. فاستعن بالله ثم استغن من غنائه وعنده خزائن السموات والأرض...
ولا تفرط في الأمور فاعمل بين خدامك بالعدل ثم أنفق عليهم على قدر ما يحتاجون به لا على قدر الذي يكتزونهم ويجعلونه زينة لأنفسهم وبيوتهم وبصرفونه في أمور التي لن يحتاجوا بها ويكونن من المسرفين. فاعدل بينهم على الخط الاستواء بحيث لن يحتاج بعضهم ولن يكتز بعضهم وإن هذا لعدل مبين. ولا تجعل الأعزّة تحت أيدي الأذلة ولا تسلط الأدنى على الأعلى كما شهدنا في المدينة وكنا من الشاهدين. وإنّا لَمَّا وردنا المدينة وجدنا بعضهم في سعةٍ وغنائه عظيمٍ وبعضهم في ذلةٍ وفقيرٍ مبينٍ وهذا لا ينبغي لسلطنتك ولا يليق لشأنك...

ثم انصب ميزان الله في مقابلة عينيك ثم اجعل نفسك في مقام الذي كأنك تراه ثم وزن أعمالك به في كل يوم بل في كل حين وحاسب نفسك قبل أن تُحاسب في يوم الذي لن يستقر فيه رجل أحد من خشية الله وتضطرب فيه أفئدة الغافلين. وينبغي للسلطان بأن يكون فيضه كالشمس يربّي كل شيء ويعطي كل ذي حق حقه وهذا لم يكن منها بل بما قدر من لدن مقتدر قدير. ويكون رحمته كالسحاب ينفق على العباد كما ينفق السحاب أمطار الرحمة على كل أرضٍ بأمرٍ من مدبرٍ عليمٍ...

إنك ظل الله في الأرض فافعل ما يليق لهذا الشأن المتعالي العظيم. وإنك إن تخرج عمّا ألقيناك وعلمناك لتخرج عن هذا الشأن الأعز الرفيع. فارجع إلى الله بقلبك ثم طهره عن الدنيا وزخرفها ولا تدخل فيه حب المغايرين...

اسمع يا سلطان ما ألقينا على حضرتك ثم امنع الظالمين عن ظلمهم ثم اقطع أيديهم عن رؤس المسلمين."

خطابه لوزراء السلطان

في "سورة الملوك" يخاطب حضرة بهاء الله وزراء السلطان خطاباً عنيماً يوبخهم فيه على سوء تصرفهم وأفعالهم. فيما يلي بعض الفقرات:

"قل يا أيها الوكلاء ينبغي لكم بأن تتبعوا أصول الله في أنفسكم وتدعوا أصولكم وتكونن من المهتمدين وهذا خير لكم عما عندكم إن أنتم من العارفين. وإن لن تتبعوا الله في أمره لن يقبل أعمالكم على قدر نقيير وقطمير. فسوف تجدون ما اكتسبتم في الحياة الباطلة وتجزون بما عملتم فيها وإن هذا لصدق يقين...

قل أتأخذون أصولكم وتضعون أصول الله وراء ظهوركم وإن هذا لظلم على أنفسكم وأنفس العباد لو تكونن من العارفين. قل إن كان أصولكم على العدل فكيف تأخذون منها ما تهوى به هواكم وتدعون ما كان مخالفاً لأنفسكم ما لكم كيف تكونن من الحاكمين. أكان من أصولكم بأن تعذبوا الذي جائكم بأمركم وتخذلوه وتؤذوه في كل يوم بعد الذي ما عصاكم في أقل من آن ويشهد بذلك كل من سكن في العراق ومن ورائه كل ذي علمٍ عليم."

هذا ويطمئن حضرة بهاء الله الوزراء بأنه ما بُعث ليستولي على كنوزهم وممتلكاتهم الدنيوية، مؤكداً انقطاعه عمّا سوى الله ومبيناً بأن كافة كنوز الأرض لم تكن في نظره ونظر أحبائه إلا ككف من الطين. ذلك لأن كل شيء سيفنى ولن يبقى غير عزة أمر الله. ثم يحذّر الوزراء من عاقبتهم قائلاً:

"فاعلموا بأن الدنيا وزينتها وزخرفها سيفنى ويبقى الملوك لله الملك المهيمن العزيز القدير. ستمضي أيامكم وكل ما أنتم تشتغلون به وبه تفتخرون على الناس ويحضركم ملائكة الأمر على مقر الذي ترجف فيه أركان الخلائق وتتشعر فيه جلود الظالمين وتُسئلون عمّا اكتسبتم في الحياة الباطلة وتجزون بما فعلتم وهذا من يوم الذي يأتيكم والساعة التي لا مرد لها وشهد بذلك لسان صدقٍ عليم."

خطابه لأهل الآستانة

وجّه حضرة بهاء الله نصائحه وتحذيراته إلى سكان الآستانة أيضاً. فيوصيهم بتقوى الله والاستماع لندائه واجتناب الغرور والانقطاع عن هذه الدنيا. هذه بعض وصاياه:

"أن يا ملاء المدينة اتقوا الله ولا تفسدوا في الأرض ولا تتبعوا الشيطان ثم اتبعوا الحق في هذه الأيام القليل. ستمضي أيامكم كما مضت على الذينهم كانوا قبلكم وترجعون إلى التراب كما رجعوا إليه آباؤكم وكانوا من الراجعين..."

اسمعوا ما ينصحكم به هذا العبد لوجه الله وما يريد منكم من شيء ويرضى بما قضى الله له ويكون من الراضين. يا قوم قد مضت من أيامكم أكثرها وما بقت إلا أيام معدودة إذا دعوا ما أخذتم من عند أنفسكم ثم خذوا أحكام الله بقوة لعل تصلون إلى ما أراد الله لكم وتكونن من الراشدين..."

إياكم أن لا تستكبروا على الله وأحبابه ثم أخفضوا جناحكم للمؤمنين الذين آمنوا بالله وآياته وتشهد قلوبهم بوحدانيته وألستهم بفردانيته ولا يتكلمون إلا بعد إذنه كذلك نصحكم بالعدل وندكركم بالحق لعل تكونن من المتذكرين ولا تحملوا على الناس ما لا تحملوه على أنفسكم ولن ترضوا لأحد ما لا ترضونه لكم وهذا خير النصح لو أنتم من السامعين."

في خطابه لسكان الآستانة، يبين حضرة بهاء الله لهم موقفه بجلاء:

"ثم اعلّموا بأنّ ما نخاف من أحدٍ إلاّ الله وحده وما توكلّي إلاّ عليه وما اعتصامي إلاّ به وما نريد إلاّ ما أراد لنا وإن هذا لهو المراد لو أنتم من العارفين. إني أنفقت روحي وجسدي لله رب العالمين. من عرف الله لن يعرف دونه ومن خاف الله لن يخاف سواه ولو يجتمع عليه كل من في الأرض أجمعين وما نقول إلاّ بما أمرت وما نتبّع إلاّ الحق بحول الله وقوته وإنه يجزي الصادقين...

فسوف يظهر الله قومًا يذكرون أيامنا وكل ما ورد علينا ويطلبون حقنا عن الذين هم ظلمونا بغير جرمٍ ولا ذنبٍ مبيّنٍ."

مما يثير الاهتمام والملاحظة أن يمتدح حضرة بهاء الله، في سياق خطابه ونصائحه لسكان الآستانة، بعبارات وأوصاف وهاجة، فضائل الإمام الحسين ومقامه الرفيع، ويصف تضحيته، ويبتهل أن يضحي بنفسه أيضًا في سبيل الله.

خطابه لحكماء المدينة وفلاسفتها

في "سورة الملوك" يستنكر حضرة بهاء الله علماء الدين في الآستانة لغفلتهم وتجاهلهم عن السعي للوفود إلى محضره واستقصاء أمره. فيوبخهم لكونهم عبدة

"الأسماء"، وعشاق الرئاسة. فهو يحزن لإخفاقهم في عرفان مقامه والاعتراف به سيداً ومولى لهم، ويعتبر أرواحهم ميتة.

ثم يخاطب حضرته "حكماء المدينة" (الآستانة) و"فلاسفة الأرض". يحذّر هؤلاء بالأّ يغتروا بعلمهم، إذ إن رأس الحكمة هو تقوى الله وعرّفان مظهره. ثم يوبخهم لفشلهم في طلب الاستنارة من فيض علمه، وينصحهم لئلا يتعدّوا حدود الله، ولا يتبعوا ما عند الناس من تقاليد وسبل.

خطابه للسفير الفرنسي

يلوم حضرة بهاءالله السفير الفرنسي في الآستانة لتكاتفه مع السفير الإيراني ضده دون الاستفهام والتحري عن قضيته. ويخاطب الأول ويذكره بأنه لم يعمل بموجب نصائح المسيح في الإنجيل، ولو فعل ذلك لما اتّحد مع سفير العجم. يحذّره بأن سوف لن يمضي وقت طويل قبل زوال عزته وأيامه في الدنيا ويحاسب على أعماله في محضر ربه. ينصحه، وأمثاله، بالسلوك في سبيل العدل والأّ يتّبع وساوس نفسه الأمّارة.

خطابه لسفير إيران

في "سورة الملوك" جزء هام مخصص لمخاطبة الحاج ميرزا حسين خان، مشير الدولة، سفير إيران في الآستانة. سبق أن أشرنا إلى نشاطاته ضد حضرة بهاء الله⁽⁸⁾. كان السفير من سكان قزوین وأحد أكفأ ساسة إيران، الذي بقي في منصبه سفيراً لإيران في الآستانة لمدة تقارب خمسة عشر عاماً ما بين 1270-1285 هـ (1853-1868 م). وفي عام 1288 هـ (1871 م) رُقي إلى منصب وزير الخارجية، لكنه نُحي عنه فيما بعد. ثم عُين، إثر عدم ارتياح الشاه منه، قيماً على مقام الإمام الرضى في مشهد حيث توفي هناك فجأة سنة 1298 هـ (1881 م) عن عمر يناهز سبعاً وخمسين سنة. هذا ويسود الاعتقاد لدى العموم بأنه قد سُمم بقدرح قهوة أعطي له بأمر الشاه.

يخاطبه حضرة بهاء الله في "سورة الملوك" بهذه الكلمات المتحدية:

"أن يا سفير العجم في المدينة أزعمت بأن الأمر كان بيدي أو يبدل أمر الله بسجني وذلي أو بإفقادي وإفنائي فبئس ما ظننت في نفسك وكنت من الظانين. إنه ما من إله إلا هو يظهر أمره ويعلو برهانه ويثبت ما أراد ويرفعه إلى مقام الذي ينقطع عنه أيديك وأيادي المعرضين. هل تظن بأنك تعجزه في شيء أو تمنعه عن

(8) انظر الفصل الثالث.

حكمه وسلطانه أو يقدر أن يقوم مع أمره كل من في السموات والأرضين. لا فونفسه الحق لا يعجزه شيء عما خلق إذاً فارجع عن ظنك إن الظن لا يغني من الحق شيئاً وكن من الراجعين إلى الله الذي خلقك ورزقك وجعلك سفير المسلمين...

إن كان هذا الأمر حقاً من عند الله لن يقدر أحد أن يمنعه وإن لم يكن من عنده يكفيه علمائكم والذينهم اتبعوا هواهم وكانوا من المعرضين."

يوبخ حضرة بهاء الله السفير بشدة كمثل لبلاده، على ما تعرض له المؤمنون من اضطهاد ومعاناة وبالأخص الجريمة الكبرى بإعدام حضرة الباب. هذه بعض الفقرات في الموضوع:

"... وكم من عبادٍ قتلتموهم في كل شهرٍ وسنين وكم من ظلم ارتكبتموه في أيامكم ولم ير شبيهاً عين الإبداع ولن يخبر مثلها أحدٌ من المؤرخين وكم من رضيعٍ بقي من غير أم ووالدٍ وكم من أبٍ قُتل ابنه من ظلمكم يا ملأ الظالمين وكم من أختٍ ضجّت في فراق أخيها وكم من امرأةٍ بقت بغير زوجٍ ومعينٍ.

وارتقيتم في الظلم إلى مقام الذي قتلتم الذي⁽⁹⁾ ما تحرّف وجهه عن وجه الله العلي العظيم. فيا ليت قتلتموه كما يقتل الناس بعضهم بعضاً بل قتلتموه بقسم الذي ما رأيت بمثله عيون الناس وبكت عليه السماء وضجت أفئدة المقربين. أما كان ابن نبيكم وأما كان نسبه إلى النبي مشتهراً بينكم فكيف فعلتم به ما لا فعل أحد من الأولين. فوالله ما شهد عين الوجود بمثلكم تقتلون ابن نبيكم ثم تفرحون على مقاعدكم وتكونن من الفرحين..."

يمضي حضرة بهاء الله في هذا السياق فيصرح:

"وما استشعرتن من فعلكم إلى أن قمتن علينا من دون ذنب ولا جرم مبین أما تخافون عن الله الذي خلقكم وسواكم وبلغ أشدكم وجعلكم من المسلمين. إلى متى لا تتنبهون في أنفسكم ولا تتعقلون في ذواتكم ولا تقومون عن نومكم وغفلتكم وما تكونن من المتنبهين..."

وفي كل يوم تجددون ظلمكم كما قمتن علي في تلك الأيام بعد الذي ما دخلت نفسي في هذه الأمور وما كنت مخالفاً لكم ولا معارضا لأمركم إلى أن جعلتموني مسجوناً في هذه الأرض البعيدة. ولكن فاعلم ثم أيقن بأن بذلك لن

(9) حضرة الباب. (أ. ط.)

يبدّل أمر الله وسننه كما لم يبدّل من قبل عن كل ما اكتسبت أيديكم وأيدي
المشركين.

ثم اعلّموا يا ملاء الأعمام بأنكم لو تقتلونني يقوم الله أحد مقامي وهذه من سنّة
الله التي قد خلت من قبل ولن تجدوا لسنّته لا من تبديلٍ ولا من تحويلٍ. أتريدون
أن تطفئوا نور الله في أرضه أبي الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو أنتم تكرهوه في أنفسكم
وتكوننّ من الكارهين."

بعد توبيخ السفير على اقتراح المظالم بحق أمر الله، خاطبه حضرة بهاء الله بهذه
الكلمات:

"ومع ذلك فوالله لم يكن في قلبي بغضك ولا بغض أحد من الناس ولو وردتم
علينا ما لا يطيقه أحدٌ من الموحدين. وما أمري إلاّ بالله وما توكلّي إلاّ عليه فسوف
يمضي أيامكم وأيام الذين هم كانوا اليوم على غرورٍ مبينٍ وتجمعون في محضر
الله وتسلّون عمّا اكتسبتم بأيديكم وتجزون بها فبئس مثوى الظالمين.
فوالله لو تطلّع بما فعلت لتبكي على نفسك وتفرّ إلى الله وتضجّ في أيامك
إلى أن يغفر الله لك وإنه لجوادٌ كريمٌ..."

ولم أدر بأي صراطٍ أنتم تقيمون وعليه تمشون يا ملاء المبغضين. إنا ندعوكم إلى الله ونذكركم بأيامه ونبشركم بلقائه ونقربكم إليه ونلقيكم من بدائع حكمته وأنتم تطردوننا وتكفروننا بما صفت لكم ألسنتكم الكذبة وتكونن من المدبرين..."

في هذا الجزء من "سورة الملوك" يشير حضرة بهاء الله إلى ميرزا بزرگ خان،⁽¹⁰⁾ القنصل العام الإيراني ببغداد والذي كان عدوه اللدود ولعب دوراً هاماً رئيساً في إبعاده إلى الآستانة. يشير إليه بأنه الوزير الذي يأبى قلم حضرته أن يأتي على ذكره. في الفقرة التالية يستنكر حضرة بهاء الله أخلاق هذا الرجل المتكبر المغرور وتصرفاته:

"وكنّا فيه⁽¹¹⁾ إحدى عشر سنين إلى أن جاء سفيركم الذي لن يحب القلم أن يجري على اسمه وكان أن يشرب الخمر ويرتكب البغي والفحشاء وفسد في نفسه وأفسد العراق ويشهد بذلك أكثر أهل الزوراء لو تسئل عنهم وتكون من السائلين. وكان أن يأخذ أموال الناس بالباطل وترك كل ما أمره الله به وارتكب كل ما نهاه عنه إلى أن قام علينا بما اتبع نفسه وهواه وسلك منهج الظالمين وكتب إليك ما كتب في حقنا وأنت قبلت منه واتبعت هواه من دون بينة ولا برهانٍ مبين. وما تبينت وما تفحصت وما تحسّست ليظهر لك الصدق عن الكذب والحق عن الباطل وتكون

⁽¹⁰⁾ لمزيد من التفاصيل راجع المجلد الأول، الصفحات 150-154.

⁽¹¹⁾ العراق. (أ. ط.)

على بصيرة منير. فاسئل عنه عن السفراء الذين كانوا في العراق وعن ورائهم عن والي البلدة⁽¹²⁾ ومشيرها ليحصحص لك الحق وتكون من المطلعين."

وأخيراً تظهر الفقرات الختامية لخطابه للسفير عناية حضرة بهاءالله وهو ينصحه بالتمسك بالتقوى والعدل والتواضع لله وأحبابه:

"ولم يكن هذا الذكر مني إليك لتكشف عني ضريّ أو توسّط لي عند أحد لا فورب العالمين. ولكن فصلنا لك الأمور لعل تتنبه في فعلك ولا ترد على أحد مثل ما وردت علينا وتكون من التائبين إلى الله الذي خلقك وكل شيء وتكون على بصيرة من بعد وهذا خير لك عمّا عندك وعن سفارتك في هذه الأيام القليل.
إياك أن لا تغمض عينك في مواقع الإنصاف وتوجه إلى شطر العدل بقلبك ولا تبدّل أمر الله وكن بما نزل في الكتاب لمن الناظرين. أن لا تتبع هواك في أمر واتبع حكم الله ربك المنان القديم. سترجع إلى التراب ولن يبقى نفسك ولا ما تسرّبه في أيامك وهذا ما ظهر من لسان صدقٍ منيع.

(12) بغداد. (أ. ط.)

أما تذكّرت بذكر الله من قبل لتكون من المتذكرين. قال وقوله الحق منها⁽¹³⁾ خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وهذا ما قدره الله لمن على الأرض من كل عزيزٍ وذليلٍ ومن خلق من التراب ويعيد فيها ويخرج منها لا ينبغي له بأن يستكبر على الله وأوليائه ويفتخر عليهم ويكون على غرور عظيم. بل ينبغي لك ولأمثالك بأن تبخعوا لمظاهر التوحيد وتخفصوا جناح الذل للمؤمنين الذينهم افتقروا في الله وانقطعوا عن كل ما تشتغل به أنفس العباد ويبعدهم عن صراط الله العزيز الحميد وكذلك نلقي عليكم ما ينفعكم وينفع الذينهم كانوا على ربهم لمن المتوكلين."

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ١"

(13) الأرض.